

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء

العيون فكأنه لم يبصر ما إليه تنظرون وكأنكم لا تبصرون ما إليه ينظر فأنتم منه تعجبون وهو منكم يتعجب فلما نظر إليكم راغبين مغرورين قد ذهبت على الدنيا عقولكم وماتت من حبها قلوبكم وعشقتها أنفسكم وامتدت إليها أبصاركم استوحش الزاهد منكم فكنت إذا نظرت إليه عرفت أنه من أهل الدنيا وحش وذلك أنه كان حيا وسط موتى يا داود ما أعجب شأنك وقد يزيد في عجبك أنك من أهل زمانك ألزمت نفسك الصمت حتى قومتها على العدل أهنتها وإنما تريد كرامتها وأذللتها وإنما تريد إعزازها ووضعتها وإنما تريد تشريفها وأتعبتها وإنما تريد راحتها وأجعتها وإنما تريد شبعها وأطمأنتها وإنما تريد ريتها وخشت الملبس وإنما تريد لينه وجشت المطعم وإنما تريد طيبه وأمت نفسك قبل أن تموت وقبرتها قبل أن تقبر وعذبتها قبل أن تعذب وغيبتها عن الناس كي لا تذكر ورغبت بنفسك عن الدنيا فلم تر لها قدرا ولا خطرا ورغبت بنفسك عن الدنيا عن أزواجها ومطاعمها وملابسها إلى الآخرة وأزواجها ولباسها وسندسها وحريرها وإستبرقها فما أطنك إلا قد طفرت بما طلبت وطفرت بما فيه رغبت كان سيماك في عملك وسرك ولم تكن سيماؤك في وجهك ولا إظهارك فقعت في دينك ثم تركت الناس يفتون ويتفقهون وسمعت الأحاديث ثم تركت الناس يتحدثون ويروون وخرست عن القول وتركتم الناس ينطقون لا تحسد الأخيار ولا تعيب الأشرار ولا تقبل من السلطان عطية ولا من الأمراء هدية ولا تدنيك المطاعم ولا ترغب الى الناس في الصنائع آنس ما تكون إذا كنت بائنا خاليا وأوحش ما تكون إذا كنت مع الناس جالسا فأوحش ما تكون آنس ما يكون الناس وآنس ما تكون أوحش ما يكون الناس جاوزت حد المسافرين في أسفارهم وجاوزت حد المسجونين في سجونهم فأما المسافرون فيحملون من الطعام والحلاوة ما يأكلون وأما أنت فانما هي خبزة أو خبزتان في شهرك ترمى بها في دن عندك فاذا أفطرت أخذت منها حاجتك فجعلته في مطهرتك ثم صبت من الماء ما يكفيك